

رفيقا درب في السلم والحرب

السجل الأخضر للسعودية في لبنان: 4 مليارات دولار من دون مئة*



مراجعة: عبد الرؤوف سنو**

عندما التقى الملك عبد العزيز آل سعود رئيس جمهورية لبنان كميل شمعون في الرياض في شباط 1953، بادره إلى القول: "أنتم أيها اللبنانيون بين مسلم ومسيحي كلكم في بيت واحد، إن اتفقتم وصرتم على قلب واحد، فبلدكم مصيف وسياحي جميل للعالم، وإن اختلفتم فإن هذا البيت سوف يطيح عليكم جميعاً". فكان الملك بذلك يستقري مستقبل لبنان بأن نبذ الطائفية والعمل على بناء مجتمع متلاحم، هو الذي يؤدي إلى ازدهاره، وبعد أكثر من نصف قرن على قول الملك عبد العزيز، دعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في نيسان 2007، اللبنانيين إلى "معالجة خلافاتهم بموضوعية عبر الحوار والتفاهم بين جميع الفئات والطوائف، وتغليب صوت الحكمة والعقل حفظاً لسلامة لبنان ووحدته الوطنية، وصوناً لاستقلاله وسيادته ووحدته الإقليمية"، وأكد "أن المملكة لن تدخر جهداً في سبيل دعم اقتصاد لبنان وإعادة أعمارها على المستويين الثنائي والدولي".

هذان القولان لمؤسس المملكة الملك عبد العزيز ولعاهلها الحالي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، يختصران مسيرة نصف قرن من العلاقات السعودية - اللبنانية، كانت المملكة فيه السباقة لدعم لبنان وموازرتة، سياسياً واقتصادياً وإنمائياً، ويبرزان مواقف المحبة والأخوة الثابتة والفريدة التي تكنها المملكة للبنان، وتظهر بوضوح قولاً وعملاً في أيامه السوداء والبيضاء معاً.

وقد لا يكون منافياً للحقيقة القول، إن هذه المواقف تنبع من إستراتيجية سعودية مستمرة هدفها حماية لبنان من نفسه، بسبب مساوئ نظامه الطائفي والتوترات التي يسببها بين أبنائه في تاريخه المعاصر، وفي الوقت نفسه، حمايته من تأثيرات الجغرافية السياسية والأوضاع المتقلبة على الصعيد الإقليمي.

وعلى الرغم من انفتاح المملكة على جميع اللبنانيين، طوائف وسياسيين وأحزاب، وسياستها في عدم التدخل في شؤونهم، إلا ما يهدف إلى صيانة سلمه الأهلي وتشجيعهم على حلّ خلافاتهم بالحوار والاحتكام إلى صوت العقل والمصلحة الوطنية، فقد تعرض دورها في السنوات القليلة المنصرمة إلى حملات تشويه مفتعلة ومبرمجة، ما حمل "دار اللواء للصحافة والنشر" مشكورة على إصدار هذا الكتاب الشاهد بالوقائع والأرقام على دور السعودية في لبنان، عرفاناً وتحية وفاء وتقدير لكل ملوك السعودية وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، وللشعب السعودي، كما جاء في مقدمة الكتاب للأستاذ صلاح سلام، رئيس مجلس إدارتها (ص20).

وربما إطلاق عنوان "السجل الأخضر" على الكتاب، يعود - برأينا - لسببين، أن اللون الأخضر يعتبر اللون القومي للإسلام، حيث جاء في سورة الإنسان - الآية 21: "عَلَيْهِمْ تِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا". أما السبب الثاني، فهو أن اللون الأخضر هو لون العلم السعودي، فيعبر عنوان الكتاب إذاً عن نفسه بأنه سجل للمملكة العربية السعودية كدولة إسلامية وعربية.

تألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، احتوت على ثلاثة وعشرين فصلاً، و60 جدولاً رقمياً تفصّل المساعدات والمكرّمات السعودية إلى لبنان ومشاريع إعادة إعمارته وتأهيل بنائه التحتية. فبالإضافة إلى مقدمة تبرز مواقف شكر وامتنان وعرّفان للمملكة ودورها الإيجابي الشفاف في لبنان، كرئيس مجلس الوزراء السابق فؤاد السنيورة، ورئيس مجلس الوزراء الحالي سعد الحريري، ووزير الإعلام طارق متري، ورئيس تحرير صحيفة اللواء الأستاذ صلاح سلام، هناك شهادات وفاء وتقدير للمملكة من 97 شخصية لبنانية سياسية ودينية واقتصادية وتربوية، فضلاً عن مسؤولي الروابط والمؤسسات والجمعيات والفاعليات (ص 11-20، 253 - 297). وتناول الكتاب في جزئه الأول تاريخ العلاقات السعودية - اللبنانية منذ عهد الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، والمساعدات المقدمة من المملكة إلى لبنان بين عامي 1975 و2008.

أما الجزء الثاني، فخصّص للمنع والهبات والودائع والقروض السعودية، في مجالات دعم التعليم الرسمي والإغاثة والتبرعات الشعبية، وإسهاماتها السعودية في مؤتمرات الدعم الدولية للبنان.

وفي الجزء الثالث والأخير، تتكلم الأرقام عن نفسها بالتفصيل حول مسارات المكرّمات والهبات السعودية من أجل إعادة إعمار جنوب لبنان والضاحية الجنوبية وباقي المناطق اللبنانية المتضررة جراء عدوان إسرائيل عام 2006.

وعرض الكتاب في جزئه الأول للعلاقات السعودية - اللبنانية في عهد الملك الراحل عبد العزيز (1932 - 1953)، فأبرز سياسة المملكة تجاه لبنان، وكيف أنها تفهمت أوضاعه الداخلية وعملت على تدعيم استقلاله وتعاونته مع البلدان العربية. وأبان الفصل في المقابل، اتصالات الحكومة اللبنانية ومشاوراتها مع المملكة في ما يتعلق بالشؤون اللبنانية (ص 32 - 33)، ومنذ عهد الملك سعود (1953 - 1964)، قطعت العلاقات السعودية - اللبنانية شوطاً آخر من التوطيد والتعاون والتنسيق، فاحتضنت المملكة آلاف اللبنانيين العاملين لديها في شتى القطاعات، ودعمت المؤسسات الخيرية والاجتماعية اللبنانية من مختلف الطوائف والمناطق، ورفعت من مستوى تمثيلها الدبلوماسي مع لبنان إلى درجة سفارة، فيما تبادل المسؤولون في البلدين الزيارات واللقاءات، وقد زار الملك الراحل فيصل (1964 - 1975) لبنان مرات عدة، كأmir وولي للعهد وملك، واستقبل الرئيس شارل حلو في الرياض عام 1967.

واللافت، قول الملك فيصل لبعض النواب اللبنانيين خلال زيارته إلى لبنان في أيلول 1971، في ذروة الإشكالات بين الحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية، ما يعبر عن إعجابه بصيغة التعايش الإسلامي - المسيحي، وتحذيره في الوقت نفسه اللبنانيين من الإنزلاق إلى ما يمكن أن يضرب بمصلحة بلدهم، فطالبهم "أن يظل لبنان بلد محبة وملجأ للمضطهد" (ص 37)، في إشارة إلى ضرورة تعامل لبنان مع المقاومة الفلسطينية بمحبة عربية وإنسانية.

وعلى ما يبدو، أدرك الملك فيصل ما كان يحاك من مؤامرات خارجية لضرب العلاقات الفلسطينية - اللبنانية، وإدخال لبنان في نفق مظلم، وأبلغ الرئيس فرنجية في آذار 1975 "أن أخطار الأرض كلها تتربص بكم، ورياح الشر تنتظر أي نافذة تنفتح لكي تدخل منه. لا بد لكم من الاتفاق في ما بينكم، لا تدعو الأمم تدمر بلدكم" (ص 38)، وهذا ما جعل لبنان همّ الملك خالد (1975 - 1982) وشغله الشاغل من أجل إطفاء نار الحرب التي اندلعت فيه عام 1975.

وبفضل دبلوماسيته الهادئة، تمكن الملك خالد من رعاية المصالحة بين القيادات العربية، ما انعكس إيجاباً على لبنان، وإن مرحلياً، بتوقف حرب السنّتين (ص 39 - 43)، وبسبب تداعيات الملفات الإقليمية على لبنان، وتخريب اللبنانيين صيغة تعايشهم بأيديهم، أولى الأزمة اللبنانية جهداً ملحوظاً، وقد ألمه أن يسقط الشباب اللبناني صرعى وجرحى على جبهة ليست هي الجبهة مع العدو، بل مع الأخ

والشريك. وتشهد له تحركاته الدبلوماسية مع القوى السياسية اللبنانية ومع سورية من أجل تقريب وجهات النظر بين الأخوة الأعداء وإعادة لبنان إلى الحضيرة العربية سليماً معافى.

وقد اعتبر خلفه الملك فهد (1982 - 2005) لبنان "نموذجاً وشهادة لمصلحة العرب"، طالباً منهم "أن يتمسكوا بهذه الشهادة ويحافظوا عليها" (ص 46). من هنا، رعى مؤتمر جنيف ولوزان عامي 1983 و1984، وتكللت مساعيه الحثيثة في وأد الحرب عام 1989 بعقد مؤتمر الطائف ووضع لبنان على سكة السلام.

ومن منطلقات وثوابت عربية وإسلامية، سار خادم الحرمين الملك عبد الله تجاه لبنان تحت شعار "دائماً معك يا لبنان"، فأعرب عن قلقه من تدهور الأوضاع فيه بُعيد اندلاع الحرب، وأكد وقوف المملكة إلى جانبه في سبيل عودة الاستقرار والأمن إليه (ص 50)، وامتدح في عام 2000، عندما كان ولياً للعهد، تضحيات اللبنانيين لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي عن أرضهم. ومن بيروت، أطلق عام 2002 مبادرته للسلام في الشرق الأوسط خلال مؤتمر القمة العربية. ومن منطلقات عربية وإسلامية، وقف الملك عبد الله إلى جانب لبنان، منذ تبوئه سدة الحكم، وتجلّى ذلك بوضوح أثناء الحرب الإسرائيلية عليه عام 2006 وفي أعقابها، عبر التحرك الميداني للحكومة السعودية ومؤسساتها السياسية والدبلوماسية والهيئات الإنسانية والصحية والإعلامية والشعبية لدعم صمود الشعب اللبناني في وجه العدوان.

وقام في السنتين التاليتين بجهود شخصية ودبلوماسية على الصعيد العربي والدولي تناولت الأوضاع في لبنان ومنع اللبنانيين من الانجرار إلى فتن مذهبية (ص 51 - 63)، كما قدم دعمه للرئيس اللبناني ميشال سليمان منذ استلامه الحكم عام 2008 (ص 63 - 64).

ويتطرق هذا الجزء من الكتاب في فصوله إلى المساعدات السعودية إلى لبنان منذ عهد الملك سعود حتى عهد الملك عبد الله، من دعم المؤسسات اللبنانية والجمعيات الخيرية (ص 35)، والمساعدات التي قدمها الملك خالد خلال عهده القصير، التي بلغت 517 مليون دولار، فضلاً عن مكرمات وهبات لجمعيات إسلامية ومدنية ومستشفيات وبلديات ومؤسسات إنسانية فلسطينية (راجع المساعدات الواردة في الجدول ص 41)، ونخص بالذكر مكرمة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية عام 1975 لتسديد ديونها بقيمة 33 مليون دولار أميركي، تلتها مكرمات أخرى للجمعية المذكورة (ص 40، 239 - 241).

وبين عامي 1976 و1979، أسهمت المملكة بحوالي 20 مليون دولار، شكلت معظم تكاليف قوات الردع العربية التي أرسلت إلى لبنان في أعقاب مؤتمر الرياض والقاهرة عام 1976 (ص 42).

ومع تصاعد الأزمة اللبنانية والاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، ازداد اهتمام المملكة بما يجري في لبنان، فمسحت الدمار والخراب عن بيروت والمعاناة عن أهلتها وأعدت إليها إشراقتها، وتضامنت مع جنوب لبنان ومع المقاومة اللبنانية، ورفعت من حجم مساعداتها إليه، التي وصلت في عهد الملك فهد إلى 1.108 مليار دولار (هبات ومنح بقيمة 335 مليون دولار، (قروض إنمائية ميسرة بقيمة 273 مليون دولار)، ووديعة لدى مصرف لبنان بقيمة 500 مليون دولار.

ويوضح الجدول في صفحة 45 مسارب المساعدات التي شملت الكهرباء والمياه والمستشفيات والمدينة الرياضية وكليات الجامعة اللبنانية (ص 45 - 46)، كما كانت للملك فهد التفاتة إنسانية بين عام 1983 و1989، عندما هبط سعر صرف الليرة اللبنانية إلى الحضيض، عبر تكليف مؤسسة الحريري بتوزيع حصص غذائية على اللبنانيين بلغ عددها 737 ألف حصة طالت كل أسر لبنان، جرى توزيعها على كل المناطق والطوائف من دون تمييز.

وبين عامي 2006 و2008، كانت المملكة العربية السعودية الأولى بين الدول المانحة للبنان، كما تُظهر الجداول، والأولى في إعادة الإعمار، وفي سرعة تحويل الأموال، والأولى في التبرعات النقدية والعينية، وفي مؤتمرات الدعم للبنان، والأهم من ذلك أنها كانت الأولى في التوازن في أوجه إنفاق الهبات (إعادة إعمار القرى في الجنوب والضاحية الجنوبية، والبنى التحتية، والمشاريع الإنمائية، والإغاثة والتعليم، ودعم الجيش اللبناني وقوى الأمن الداخلي (ص 78 - 84).

وبلغت قيمة الهبات والمنح المقدمة من المملكة إلى "الهيئة العليا للإغاثة" والتمويل المقدم إلى "مجلس الإنماء والإعمار" 746 مليون دولار، ما جعل مساهمة المملكة في إعادة إعمار لبنان بين عامي 2006 و2008 تشكل أكثر من 40% من إجمالي المنح والمساعدات العربية والدولية إلى لبنان، وهو ما رفع قيمة تقديماتها بين عامي 1980 و2008 إلى أكثر من أربعة مليارات دولار (ص 78، 113-118)، وكل هذا العطاء بلا منة.

وبالإرقام... يوضح "السجل الأخضر"، إسهامات المملكة في إعادة إعمار الوحدات السكنية: 167 قرية في جنوب لبنان، و53 قرية في باقي المناطق، وإعادة بناء 36 عقاراً من 876 وحدة سكنية في ضاحية بيروت الجنوبية (ص 123)، وتشير الجداول في الصفحات 123 إلى 131، إلى قيمة إعمار الأبنية المدمرة من قبل المملكة العربية السعودية في 220 قرية لبنانية، فحلت محافظة النبطية في المرتبة الأولى، وتلتها محافظة الجنوب، فمحافظة البقاع، وبلغ إجمالي المساعدات السعودية للمحافظات الثلاث 276.115.865 مليون دولار، يُضاف إليه 31.646.296 إجمالي الأضرار في الضاحية الجنوبية من بيروت، ما يرفع إسهامات المملكة في المحافظات الثلاث وضاحية بيروت الجنوبية ذات الغالبية الشيعية إلى أكثر من 307 ملايين دولار، وما يقرب من 51 ألف وحدة سكنية (ص 122 - 123).

واللافت في المحور المذكور، أن "السجل الأخضر" يقدم تفصيلاً دقيقاً لكل قرية وبلدة شملتها جهود المملكة في إعادة الإعمار (ص 124 - 130)، والأبنية المكفولة في الضاحية الجنوبية، فضلاً عن تقديمها التجهيزات للمراكز الثقافية والاجتماعية جراء تعرضها للعدوان الإسرائيلي: في ياطر، ومعركة، وأنصار، وعيترون، ومركبا، وطيبة، وكفر كلا، وقبريخا، والعباسية، وميس الجبل، وبليدا، ومرجعون، ورموحين، وكفرشوبا، وبعلبك (ص 123 - 124).

وبالإضافة إلى ذلك، وبمبادرة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، أعادت المملكة بناء المدارس وتجهيزها وقدمت المساعدات التقنية لها، ودعمت قطاع التعليم الرسمي عبر مكرمات أزاحت عناً اقتصادياً عن أولياء التلاميذ في المرحلة ما قبل التعليم الجامعي جراء العدوان الإسرائيلي، وذلك بتحملها أقساط ورسوم حوالى 500 ألف تلميذ، فضلاً عن الحقيبة المدرسية، كما أقامت مدارس جاهزة مؤقتة لجمعية المبرات الخيرية التي يشرف عليها العلامة السيد محمد حسين فضل الله (ص 135 - 142).

وبتمويل من "الصندوق السعودي للتنمية"، تمكن "مجلس الإنماء والإعمار" من بناء 47 مدرسة جديدة، منها 16 مدرسة في البقاع والجنوب، كما أسهم الصندوق المذكور بمبلغ يفوق 13.5 مليون دولار لبناء مدارس أخرى جديدة (ص 143)، ولا ننسى في هذه العجالة، ما قدمه الصندوق السعودي لبناء الصرح الرفيع في منطقة الحدث التابع للجامعة اللبنانية وتأهيل كليتها، وكذلك المدارس الزراعية، والأتوسترادات والطرق والجسور، فضلاً عن شبكات المياه والكهرباء والقطاع الصحي، وتأهيل المباني الحكومية والبلديات والإنشاءات الرياضية.

ويبرز "السجل الأخضر" أخيراً دور المؤسسات السعودية وإسراعها بنجدة لبنان خلال العدوان الإسرائيلي عليه عام 2006، من "المستشفى الميداني السعودي"، و"جمعية الصليب الأحمر السعودي"، و"الحملة الشعبية السعودية لإغاثة الشعب اللبناني"، وتقدم يوميات المؤسسات الثلاث تفاصيل دقيقة عن

الجهد الإنساني غير المحدود لإعطاء البسمة إلى الشعب اللبناني من دون تحيّز أو تمييز (ص 162-223).

وتقديرًا للإنجازات التي حققها في العمل السياسي، ولدعمه المتواصل للبنان في مواجهة العدوان الإسرائيلي عام 2006، منحت الجامعة اللبنانية الأمير نايف بن فهد دكتوراه فخرية في العلوم السياسية (ص 224)، فكانت بمثابة وسام على صدر الشعب السعودي، وعربون وفاء من شعب لبنان إلى خادم الحرمين الشريفين.

من هنا، كان "السجل الأخضر"، رسالة شكر من "دار اللواء للصحافة والنشر" إلى المملكة العربية السعودية لما قدمته وتقدمه إلى لبنان من مساعدات ودعم سياسي ومعنوي.

* كتاب "السجل الأخضر.. مواقف المملكة العربية السعودية .. والمنح والمساعدات والتقديمات المالية والاقتصادية لدعم لبنان"، صادر عن دار اللواء للصحافة والنشر، بيروت 2009 في 304 صفحات.

** أستاذ في الجامعة اللبنانية.